بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة العلمـاء

فإنَّ فئة في المجتمع بلغـت شخوصـهم سـماء العـزّ والمجـد، وتملّكـت نفوسـهم أعـالي الـشرف والسؤدَد، حصّلوا السعادة والبهجة في طـي الـبلاء والنقمـة، وحـازوا المكـارم رغـم المـصاعب، لم يرفعهم جاه ولا سلطان، ولم يجمّلهم مُلك ولا كبرياء، ولم يبلِّغهم نـسب ولا يَـسار، هـم في واقعنـا أضخم الأسماء وأكثرها بريقًا وأشدّها دويا، قبِلَهم الناس بلا شروط ولا ميثاق، وأذعنـوا لفـضلهم دون تردّد أو اضطراب؛ لصدقهم وأمانتهم وديانَتهم.

تمنى أحد أكابِر ملوك الإسلام أن يكونَ واحدا مـنهم، متَّـصفا بـصفتهم، وسـائرا عـلى هـديهم وطريقتهم، وقد جيء إليه بسائر متَع الدنيا الفانيات وقدّمت له أنفس اللذات.

إنهم العلماء حراس الشريعة وحماة الدين ومنارات الكون، بهم صلاح الناس وهدايتهم، العلـماء كالنجوم لأهل الأرض، إذا أضاءت اهتدوا بها، وإذا أفلت ضلّوا وتحيروا، مَن مثلهم في نشر الـسنن ودرء الفتن ونبذ البدع وسائر الخرافات؟!

هـمُ العدولُ لِحمل العلم كيف وهم *** أولو المكارم والأخلاق والشيَمِ

هم ناصرو الدين والْحامون حوزته *** من العـدو بجيـش غير منهـزمِ

لم يبق للشمس من نـور إذا أفلت *** ونورهم مشرقٌ من بعد موتِهـــمِ

ولقد خص الله تعالى أهل العلم بأنهم أهل خشيته من بين الناس، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْـشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ورفعهم الله تعالى درجات فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّـذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

وقال العلامة ابن القيم رحمه تعالى : "العلماء هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتـدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم من الطعام والشراب".

عباد الله : إنكم لتبحثون عن النجـاة وتطلبـون الـسلامة في هـذه الحيـاة، فـاعلموا أن نجـاتكم مرهونة بوجود العلماء الربانيين الصادقين، فإذا قبض العلماء حلت الهلكة والفوضى والفتن، ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قـال: سـمعت رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلـم بقـبض العلـماء، حتى إذا لم يُبقِ عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» .

أيها المسلمون: إن علماء الشريعة لهم علينـا حقـوق وواجبـات، يجـب علينـا مراعاتهـا ونـشرها وتعليمها أبناءنا ، فمن أجلِّ حقوقهم إظهارهم ونشر فضائلهم ومحاسنهم وصرف الجيل إلى محبـتهم والاستماع إليهم، فهم صفوة الأمة ونبلاؤها وقادتها وصلحاؤها.

ومن حقوق علمائنا علينا إجلالهم واحترامهم والإصغاء لمواعظهم وتوجيهاتهم، روى أبـو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من إجلال الله تعـالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط».

روى الحاكم وغيره أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال: "هكذا أُمرنا أن نفعل لعلمائنا وكبرائنا".

ومن حقوقهم الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم، وفي هذه العصور ظهر أناس، يهمزون العلماء ويقدحون فيهم، وربما انتقصوهم أمام العامة وحاولوا التقليل مـن شـأنهم، ولا ريـب أن انتقـاص العلماء والوقيعة فيهم من أخطر الذنوب على العبد .

قال ابن عساكر رحمه الله: "واعلم ـ يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممـن يخـشاه ويتقيـه حق تقاته ـ أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقـصيهم معلومـة؛

لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله فيهم لنشر العلم خلق ذميم".

وإن من علامة البدعيّ وقوعه في العالم الشرعي، قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر" .

وقال الحسين الكرابيسي: "مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل مثل قوم يجيئون إلى أبي قُبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم".

قال عبدالله بن المبارك رحمه الله: "حق العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان؛ فإن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته".

الخطبة الثانية :

الحمد لله :

اتقوا الله تبارك وتعالى حق التقوى، وراقبوه في السر والنجـوى، واعلمـوا أنكـم ملاقـوه وإليـه الرجعى، حاسبوا أنفسكم، وزنوا أعمالكم، وتزينوا للعرض الأكـبر عـلى الله ﴿يَوْمَئِـذٍ تُعْرَضُـونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ .

عباد الله: للعلماء مكانة في الدين لا تنكر، ولهم فضل كبير، فقد جاءت نصوص الـشرع متـوافرة متعاضدة تعزز من مكانتهم، وتبين فضلهم، فهم من شهود الله على أعظم مشهود به كما قـال تعـالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ﴾

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول: «مـن سـلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضـاً لطالـب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف المـاء، وإن فـضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبيـاء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» رواه أبو داود.

عباد الله:العلماء بالله تعالى وبشرعه هم أهل خشية الله، وشهداء الله في أرضه، وخلفاء الرسول في أمته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "العالم بالرحمن من عباده: من لم يشرك به شيئاً، وأحل الحـلال، وحرم الحرام، وحفظ وصية الله، وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسبه بعمله".

عباد الله: ألاَ وإنَّ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ والدِّينِ تَعْظيمُ العُلَمَاءِ، فهُمْ خَلَفُ أَنْبيَاءِ الله فِي دَعْوَتِهِمْ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وإنَّ العُلَمَاءَ ورَثَةُ الأَنْبِيَاءِ» رَوَاهُ أحمدُ. حَقٌّ عَلَى النَّـاسِ تَبْجِـيلُهُمْ وتَـوقِيرُهُمْ، وعَلَى هَذَا سَارَ أَسْلاَفُ هَذَا الدِّينِ .

يَقُولُ الرَّبيعُ بنُ سُلَيْمَانَ: "ما اجْتَرَأتُ أنْ أشْرَبَ الماءَ والشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إليَّ هَيبَةً لَهُ".

فسُؤَالُهُمْ عِلْمٌ، ومُجَالَستهمْ سَعَادَةٌ، ومُخَالَطَتُهُمْ تَقْويمٌ للسُّلُوكِ، ومُلازَمَتُهُمْ حِفْظٌ للشَّبَابِ بإذْنِ الله مِنَ الزَّلَلِ .

يَقُولُ مَيمُونَ بنُ مِهْرَانَ: "وَجَدْتُ صَلاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ العُلَمَاء".

ثَمَرَةُ مُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ لَيسَتْ في التَّزَوُّدِ مِنَ العُلُومِ والمَعَارِفِ فَحَسْب، بلِ الاقْتِدَاءُ بِهِمْ في الهَدي والسَّمْتِ وعُلُوّ الهِمَّةِ ونَفْعِ الآخَرينَ عِلْمٌ آخَر يَحْتَاجُ إليْهِ كُلّ أحَدٍ.